المكان المغلق والمفتوح في روايات أسعد اللامي

الباحثة-سليم خميس هادي أ.د-ثائر عبد المجيد

جامعة واسط- كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

يدور هذا البحث حول دراسة الشخصية في روايات كاتب عراقي معاصر هو أسعد اللامي توفى يوم الخميس ١٧ أكتوبر ٢٠١٩ بعد صراع مع السرطان.، له ست روايات ، يمكن أن يعد على الاتجاه الواقعي لأن أغلب رواياته تدرس الواقع المرير للمجتمع العراقي والمآسي التي مر بها ، في فترة عادت الرواية العراقية الظهور على الساحة العربية بفضل كتابها والوصول بها لحصد الجوائز المحلية والعربية

ركزت الدراسة على الجانب الفني ، قسمت الدراسة إلى ثلاث وكل فصل قسم إلى مباحث ، الفصل الأول تناول الشخصية في ورايات اللامي ، كما حرص أن تكون معظم شخصياته من الواقع دون أن يجمل أو يزين تلك الشخصيات لكي يوصل فكرة عما يعانية المجتمع العراقي من ظلم وجور ، تناول تلك الشخصيات بأسلوب فني رائع أغلبها كان جزء من حياته الشخصية ،

Abstract

This research revolves around the study of personality in the novels of a contemporary Iraqi writer, Asaad al-Lami, who died on Thursday ١٧ October ٢٠١٩, After a battle with cancer He has six novels, can count on the realistic direction , Because most of his novels study the bitter reality of Iraqi society and the tragedies it has gone through. At a time, the Iraqi novel reappeared on the Arab scene thanks to its book and its access to local and Arab prizes , The study focused on the technical

aspect. The study was divided into three, and each chapter was divided into chapters, The first chapter dealt with the personality in Al-Lami banners. He also wanted most of his characters to be, From reality without beautifying or embellishing those characters , In order to convey an idea of what the Iraqi society suffers from of injustice and iniquity, Dealing with these characters in a wonderful artistic style, most of them It was part of his personal life،

المقدمة

إن عرض المكان في الرواية إما أن يكون نتيجة واقعة حقيقية يعيشها الكاتب. أو يعيشها من هم حوله بواقع حقيقي بكل تفاصيله، أو أن يكون من وحي خياله، فحينها يمتلك كامل الحرية في التحرر من الواقع، متجهاً نحو أفق التشويق والإبداع للقارئ، ولكن شريطة ألا يشوه ملامح المكان الحقيقي.

فالروائي المبدع يختار أمكنته بخيال واسع، وهذا يسهم في اخراج نص بتقنيات رائعة، يكون متماسك ذو رصانة لغوية عالية.

تناول أسعد اللامي العديد من الأماكن المتنوعة، استطاع توظيفها بشكل جيد، فالمكان يشكل عنصراً مهماً من عناصر العمل السردي، وقد تطرقت في هذا البحث إلى المكان المغلق والمكان المفتوح، فالأمكنة المتنوعة الذي تناولها الكاتب تدل على رمزية معينة، يريد من خلالها أن يسلط الضوء على قضايا مهمة في المجتمع، مستعملاً أنواع الأمكنة المغلقة مثل البيت والدائرة والفندق والمعتقل والسينما، أما الأماكن المفتوحة فقد لاحظنا وجود الكثير من الأمكنة المفتوحة في رواياته وظفها لخدمة نصوصه مثل، المدينة والشارع والحديقة والبحر والنهر والسوق والمقبرة والكثير منها، فكان الكاتب يتنقل عبر فضاءات الأمكنة بمختلف أشكالها، مما أعطى لعمله رونقاً وزاده جمالية.

المكان المغلق والمفتوح

يُعد المكان من العناصر الأساسية في العمل الأدبي، فلا وجود لعمل أدبي متكامل دون المكان، فالكاتب لا يمكن أن يستغني عنه، فهو، "يمثل مكونا محوريا في بنية السرد بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين"(١). وفي مفهوم آخر للمكان "إنه نتاج مجموعة من الأساليب اللغوية المختلفة التي وجدت وظائفها الحيوية في النص الروائي"(٢).

إن لعبد الملك مرتاض رأيه الخاص بالمكان فهو عنده "الحيز الأدبي عالم دون حدود، وبحر دون ساحل، وليل دون صباح، ونهار دون مساء. إنه امتداد مستمر مفتوح على جميع المتجهات، وفي كل الآفاق، الروائي المحترف، والمتأنق، والمتألق، جميعا : هو الذي يستطيع أن يتعامل مع حيزه تعاملا بارعا، فيتخذ منه إطارا ماديا يستحضر من خلاله كل المشكلات السردية الأخر مثل الشخصية والحدث والزمان"(٣).

المكان هو مكمل لعناصر السرد، وله علاقة مع مكونات السرد الأخرى. فالشخصيات لا تعمل دون المكان، فكل شخصية عليها أن تكون في مكان محدد، أو مجموعة أماكن حسب رؤية الكاتب ليتسنى لها أخذ عملها الفاعل في النص السردي والابداع فيه، أما بالنسبة للزمان فهما عنصران لا يفترقان في العمل سردي، " إن المكان لا يعيش منعزلاً عن عناصر السرد إنما

---

(١) تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، محمد بو عزة: الدار العربية للعوم ناشرون، بيروت _ لبنان، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠، ٩٩

(٢) استراتيجية المكان دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، مصطفى الضبع :الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢ ،٢٠١٨ ، ص٩٧

(٣) في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، عبد الملك مرتاض: موسوعة عالم المعرفة(٢٤٠)، ١٩٩٨، ١٣٥

يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث والرؤيا السردية"[١].

إن المكان السردي، والواقعي، مختلفان تماما، فالمكان السردي هو مايأتي من خيال الكاتب، والمكان الواقعي هو ماموجود فعلا بالواقع . ويرى محمد بو عزة في كتابه "إن المكان الروائي بالمقارنة بالمكان الواقعي_ إضافة على أبعاده المكانية يتميز بكونه فضاء لفظي لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي بامتياز. ويختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح، أي الأماكن التي ندركها بالبصر أو السمع، إنه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه"[٢].

ويأتي تقسيم الأماكن على يد مجموعة من المؤلفين، إلى أماكن عامة، وأماكن خاصة، الأماكن العامة هي الأماكن التي يشترك في استعالها كل الناس، التمتع فيها، مثل المدينة، والقرية، والحديقة العامة، والبحر، والمساجد، والكنائس، والمخيم، والجسر، والساحة، والملعب، والسجن، المقهى. أما الأماكن الخاصة فهي تعود ملكيتها لشخص ما أو مجموعة أشخاص يشتركون في صلة القرابة كعائلة فلا يستطيع شخص التجاوز على خصوصيتها مثل الغرفة، والبيت، وحديقة المنزل، "ويستطيع المتأمل في الأحياز المكانية أن يميز أكثر من مستوى... مستوى عام، قد يشترك فيه معظم الناس إن لم يكونوا كلهم وهناك مستويان آخران: أحدهما أحياز مكانية لها صفة القداسة الدينية كالجوامع والكنائس، المستوى الأخر فهو الأحياز المكانية الإصلاحية تلك التي يصنعها الدارسون والمبدعون"[٣].

يختبئ الكاتب خوفاً من المسؤولية خلف نصه المبطن، الذي يريد منه معالجة قضية ما في مجتمعه، عن طريق النقد المبطن، "يقدم المكان حلا للمبدع حين يريد الهروب، أو حين يعمد

---

(١) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي: المركز الثقافي العربي، بيروت، شارع جاندارك، الطبعة الأولى ١٩٩٠،

(٢) تحليل النص السردي، ١٠٠

(٣) جماليات المكان، جماعة من الباحثين: الدار البيضاء، دار قرطبة، ط٢، ١٩٨٨، ٣٥

إلى عالم غريب عن واقعه، ليسقط عليه رؤاه التي يخشى معالجتها، وهنا يتحول المكان إلى رمز وقناع... يسمح لفكر المبدع أن يتسرب من خلاله"[١].

يعتمد الكاتب على أسلوبه الخاص في جعل القارئ أن يتأمل لماذا اختار هذا المكان "إن البعد المكاني على الحقائق المجردة أي أثر الصورة في تشكيل الفكر البشري، أو أثر الرمز في تجسيد التصور العام للبشر لعالمهم"[٢].

يتشكل المكان من خلال نمو أحداث الرواية، فكلما نمت الأحداث ظهرت أماكن جديدة، "فالمكان لا يتشكل إلا باختراق الابطال له، وليس هناك، بالنتيجة أي مكان محدد مسبقا وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث"[٣].

للمكان الروائي أهمية كبير في العمل السردي، فهو يمثل العنصر الأساس للنص، فلا وجود نص سردي دونه، وهو يعد الركيزة الرئيسة للعمل، منه يصنع الكاتب عالمه الخاص، يختار أماكنه من خياله الواسع "يُعد المكان هوية من هويات الخطاب الأدبي، وأي محاولة لتهميشه هي تهميش لهوية الخطاب ذاته"[٤].

---

(١) نفس المرجع، ص ٢٣

(٢) بناء الرواية، سيزا قاسم: مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤، أشراف عفاف السيد، ١٠٤

(٣) بنية الشكل الروائي ، ٢٩

(٢) هوية المكان وتحولاته قراءة في رواية طوق الحمام، ايمان جيردان: دار الكافي للنشر والتوزيع والترجمة، ط٢ ، ٢٠٢١، ص٣١

المكان المغلق:

يستعمل الكاتب عادة الأماكن المغلقة للدلالة على رمز، أو طرح قضية معينة لمعالجتها، باستعمال خياله الواسع. يعد المكان في أي عمل سردي هو بنية تحتية مهمة، فهو المنطلق الأساسي لتشكيل رؤية العمل ووحدة المفهومية [١].

البيت: –

يعتبر البيت من الأماكن الشائعة في روايات الكاتب أسعد اللامي، ففي رواية الرمل الأسود كان البيت بالنسبة للبطل ملاذ آمن لجأ إليه نعيم، بعدما أصبح الشارع يهدد حياته، لوجود مجاميع مسلحة منفلتة تجوب الشوارع، تقتل وتنهب وتسلب، لذلك قرر نعيم العزلة في البيت وعدم الخروج للشارع، فهو منذ عدة أيام لم يذهب إلى دائرته، هذا أصبح مصدر قلق لوالدته تقية، تريد منه الخروج وهو يرفض، ليروي لها قصص عن الشارع، ومايوجد فيه من كوارث تحدث "الخوف كاتلك، الدائرة عفتها، مافكرت لابالراتب، ولابالفصل من الوظيفة، خوش هم رضيناها، عاد روح لكهوة العكد أحسن من كعدتك بهل القريفة ليل نهار، جنك دجاجة كاركة على بيض" [٢] .(٢)

جلس نعيم في البيت لفترة طويلة جداً، لم يخرج للشارع منذ شهور "قفزت تقية، قفزتُ خلفها، خرجت من دون عباءة... كم مضى منذ آخر مرة خرجت فيها من البيت؟ أربعة شهور، ستة، ثمانية، إنها مدة طويلة، كافية لأن تجعل المرء ينسى كل شيء"[٣].

يسرد الكاتب الأيام التي عاشها بطل شباك أمينة، وأجمل الذكريات في بيت العمة رضية الذي يعني له الكثير، الانطلاقة الأولى لبدأ حياة جديدة وتحدي الماضي الأليم "تحت الأريكة في البيت، مكاني المفضل للاختباء، تجدين صعوبة في العثور علي"[٤].

---

(١) ينظر : **شعرية الشخصية والمكان الروائي،٦٣**

(٢) الرمل الأسود ٣٩

(٣) نفسه ٢١٨

(٤) شباك أمينة ٩٤

استعمل أسعد اللامي وظيفة المكان في تصوير كل مشهد، أو بيئة طبيعية، أو بيئة صناعية، ليشمل بذلك كل محتويات الأمكنة من أدوات، وديكور، وأثاث. [١].

أصبحت الدار بالنسبة للسائق كريم في نهايات الخريف بدايات الشتاء هي : الأمل، العائلة، الأطفال، الزوجة، يفتقد لهم في كل لحظة محاولا ًالذهاب لهم كلما سنحت له الفرصة، لرؤية أطفاله وزوجته، كان عمله صعب للغاية، ينقل جثامين القتلى من الجبهة إلى محل سكناهم، ويتنقل بين المحافظات، وفي احدى الليالي يأُمر بنقل جثمان طاهر إلى أهله، فهو في المقابل يحصل على أجازة ، يوم يقضيه في الطريق ويوم يذهب ليرى أهله، وكان يتمنى أن لا يحدث أي عطل في محرك العربة وخاصة إنها من الطراز القديم، هكذا كانت حياة سائق عربة نقلة جثامين القتلى، "يلزمك وقت طويل لأجل الوصول وأنا الأخر سأنتهز الفرصة وأعرج على البيت، لي زوجة تنتظر وأطفال يترقبون، اتعرف آخر مرة نقلت فيها جثمانا ً، كانت إلى كركوك، قبل ثلاثة أيام ولكن لم يتسن لي أن أعرج على البيت لم تطاوعني العربة، فقد أصاب محركها عطب لعين جعلني أمضي ليلتي وحيدا ً في الطريق بعد أن خطف الجندي الغبي الذي كان يرافقني رجليه وذهب إلى بيته، وها أنت أيضا تحاول الآن بترددك المعيب تفويت الفرصة علي"[٢] .

صار بيت طاهر بيت أحزان، بدأ الحزن في كل أنحاء المنزل، باشر الكاتب في سرد الأحداث على لسان الطفلة أمل ليوصف ما حدث في بيت طاهر، قبل مدة ليست بالبعيدة فقدوا أبنهم الأكبر في أحدى معارك الخفاجية ولم يعد منذ ذلك اليوم، بادر الأب بأن يعمل له قبرٍ رمزيٍ، منذ ذلك الوقت والحزن لا يفارقهم، إلى أن جاءت الفاجعة الأكبر، وهي وصول جثمان الأبن الأصغر "اعلنوا عن حضورهم بالصراخ والعويل من بداية الزقاق، فتنادى الدار لصراخهم من جديد بمزيد من الصراخ، كان واضحا ًمن طبيعة تصرفاتهم، بعد أن دخلوا الدار، تبين إنهم من أركان العائلة المقربين وصل إليهم الخبر فجاؤوا مسرعين، أبصر أبي بارتياح من مكانه الذي اختاره مشرفا ًعلى نافذة الصالة، حيث لم يشأ أن يترك جدي يغيب عن انظاره، كيف أحاطت به ثلة

---

(٣) ينظر : جماليات المكان في الرواية السعودية، حمد بن سعود البلهيد: اشراف أحمد السعدني، جامعة الأمام محمد بن سعود كلية اللغة العربية، ٢٠١١، ص٢٨

(٢) نهايات الخريف بدايات الشتاء ٥٦

منهم، غيبوا عن أنظاره تابوت خالي، حملوه إلى غرفته في الطابق العلوي، ابقوه هناك ساعة من الوقت بين سريره ومكتبته"[١].

وفي رواية نهايات الخريف بدايات الشتاء، كان إياد بحاجة إلى الرجوع للبيت، ليقضي الوقت الذي تبقى له من مأموريته وبنفس الوقت يلتقي بوالدته بعد غياب دام لأيام في جبهات القتال، "عند باب الدار رفع يده هاماً أن يدق على الباب لكنه ما لبث أن توقف مطرقا لحظات : حارمها من نومة الفجر، تمتم مع نفسه وهو يستحضر وجهها أمامه... بوغت فيها تفتح الباب، تلقي عليه نظرة شاملة، متفحصة، صاعداً السلم راكضاً باتجاه غرفته، ليرتمي على سريره دافناً رأسه في الفراش، مكملاً نشيجه بصوت مسموع"[٢] .

يتناول الكاتب أسعد اللامي في باب النار أحداث حدثت في منزل المفوض بدر الدين شاهي الشخصية الرئيسة فيها، قبل ساعات من موعد التكريم، استعد بدر الدين منذ الصباح للذهاب لمكان التكريم في نجمته الثالثة إلا أن حصل حدث مهم، على أثره أُجل تكريم بدر الدين، إلى شعار أخر "فتحت باب الهول من جهة الحديقة، تناولت جرة الماء المعلقة بشجرة التوت، كان ملمسها نديا، شربت، كان باردا وعذباً . عدت للساحة الخلفية للدار، غسلت وجهي من ماء الحنفية نافضا عني بقايا النعاس، ثم مررت على قن الدجاج. قوقا الدجاجات ثانية، وبأصوات غاضبة وقد أقلقت راحتها، هذه المرة يدي وهي تلم البيض، كركرت مكية من مخبئها في التنور الطين، قفزت منه محدثة صوتا شبيها بخفق أجنحة دجاجة تفر. صعدت درجات السلم راكضة، وجلست على اول درجة من ناحية السطح"[٣].

الفندق:-

يذكر نعيم بطل الرمل الأسود الفندق، وهو بغاية الحزن على ما فاته، وكيف ودع الأنسة سريلاك دون دعوتها إلى غرفته، كانت في متناول يده، إلا إنه لم يتجرأ أن يطلب منها ذلك "رفعت رأسها موظفة الاستقبال من خلف مكتفيها حالما أحست بدخولي الص ... صعدت السلم

(١) نفسه ٧٣
(٢) باب النار ١٠١
(٣) باب النار ١٤

الخشبي قفزا، كنت أشعر بالرغم من الحزن الذي تركه ذهاب مس سريلاك المتعجل والسريع... يا إلهي كيف يعقل هذا؟ تركت مس سريلاك تذهب قبل قليل"[١]

الدائرة: –

الدائرة أصبحت بالنسبة لنعيم، المكان الذي يعيد له ذكريات مؤلمة، وحزن عميق، وندم، فإنه يتذكر حبه الوحيد السيدة صفاء، أحبها من كل قلبه، إلا إن الأقدار جعلتها زوجة رجل أخر، وذلك بسبب أهماله وتردده "قفزت من فوري وذهبت أبحث عن منضدة وكرسي بعد أن قلت لها تفضلي أستريحي في مكاني، ليست الصدفة بالطبع من جعلت مكان جلوسها بجانب منضدتي، أنا الذي زحزحت المناضد والكراسي كمجون، وأفسحت المجال لمنضدتها، كي تكون بجانب منضدتي، وسط دهشه موظفات القسم، وضحكاتهن المكتومة"[٢].

المعتقل: –

يعاني أكثر الناس في زمن النظام البائد من الاعتقالات العشوائية، بذنب أو بدون ذنب وهذا ما حدث مع كريم الشخصية الرئيسة في شباك امينة، يسرد الكاتب أحداث اعتقال كريم، على يد أزلام النظام البائد، للتحقيق معه في حادثة المنشورات، ليسلط الضوء على قضية مهمة في تلك الحقبة من الزمن، كان فيها اعتقال كل من يشتبه به إنه معارض لنظام البعث المنحل، وكل من لا ينتمي لحزب البعث، وكل من لديه أقرباء، او أصدقاء لهم أفكار معادية لذلك النظام، يكون مصيره الاعتقال والتعذيب بأساليب كثيرة، كريم كان ضحية تهمة مزيفه، وهو في ريعان شبابه، ليجد نفسه في المعتقل مع الكثير من المعتقلين، "اتفرس بالوجوه، بعضهم مغمض عينيه، وبعضهم مكب برأسه للأرض، وبعض يسندون جذوعهم على الجدران، محبرة عيونهم ترسف في أغلال حزن ثقيل، لا مفر من الساعات الأولى لتواجدك في هكذا مكان"[٣] .

---

(١) الرمل الأسود ٢٥

(٢) الرمل الأسود ٧٠

(٣) شباك أمينة ١٠٣

كان المعتقل صغير لا يصلح للجلوس، مكتظ بالنزلاء، يقطن فيه ستين نزيلاً، يتشاركون في (تنكه) صفيحة معدنية صغيرة، يتقاسمونها لقضاء حوائجهم، متواجدة داخل تلك الغرفة الصغيرة مع النزلاء، الرائحة لاتوصف، يجلس كريم في مكان صغير لا يتسع حتى للجلوس هذا ما حصل عليه "تتبعت إشارة اليد التي رتبت على الأرض مشيرة إلى مكان، أسميه مكانا، كان حيزا لا يتسع لجسد طفل، لكنني كنت بحاجة إليه، بعيدا عن صفيحة البراز"[١].

قضى إياد عبد الحميد سبعة أيام في معتقل وحدته العسكرية، لغيابة ثلاثة أيام عن وحدته العسكرية، تلك الأيام التي قضاها في المنزل بعد تدهور حالته الصحية والنفسية أثر فقده صديقه طاهر، كان بالإمكان أن يعفى من قبل الضابط من عقاب المعتقل على أقل تقدير، تقديراً للموقف الذي هو فيه، لكنه لم يتفاجأ في الحكم، "لم يكد يضع أقدامه في وحدته العسكرية حتى قدم مذنباً ، حليق الرأس منزوع النطاق، أمام أمره العسكري، لينتهي استنطاقه السريع بالزج به في لسبعة أيام بجريرة الغياب ثلاثة أيام فوق مأموريته التي حددت لها أياماً ثلاثة لا غير"[٢] .

المشفى: –

يمثل المشفى لكريم الشخصية الرئيسة في أحلام العبوة الرابعة الموت البطيء، ويؤكد الكاتب هذا الأمر من خلال الأحداث التي مر بها كريم فيصل، فهو مصاب بأشرس وأخبث أنواع الأمراض، ينتظر دوره في المشفى لأخذ عبوات العلاج السبع من الكيمياوي، تمثل له هذه العبوات أسوء ما يمر به أنسان على وجه الأرض، الألم الذي لا يقدر أن يتحمله أنسان، تفقده صبره، يدخل في غيبوبة، يصيبه الإرهاق، أسماها العبوة الساحرة، وهي العبوة الرابعة له التي توسطت العبوات السبع، ولشدة دوائها، تأخذه إلى عالم أخر، عالم من الخيال "شاهدت موتى يعودون وأحياء يلوحون بتحية الوداع وحدث أن وجدتني سائحا في أكثر من عشرة بلدان والأجمل بكل تأكيد أنني حضرت تجمعات ثقافية وحفلات غناء في تلك البلدان" [٣].

---

(١) نفسه ١٤٤

(٢) نهايات الخريف بدايات الشتاء ١٣٠

(٣) أحلام العبوة الرابعة ١٠٧

مركز الشرطة: –

يذكر الكاتب أسعد اللامي في رواية باب النار مركز الشرطة، وهذا يدل على وجود انفلات أمني حدث أو حدثت جريمة ما، لذلك يتدخل العنصر الأمني لفرض الأمن، بدر الدين شاهي في صبخة العرب يمثل عنصر الأمن، إنه مفوض شرطة، واجبه فرض الأمن وحماية الناس، الجريمة التي حدثت في صبخة العرب هزت مدينة البصرة، أدخلت الرعب في نفوس الناس، لاول مرة في تاريخ البصرة تحدث مثل هكذا جريمة، أوكلت لبدر الدين مهمة كشف خيوط الجريمة ومعرفة القاتل بأسرع وقت "في اجتماع مع مدير مركز شرطة البصرة القديمة، مع مدير شرطة لواء البصرة العام في مقر مركز الشرطة، تكلم بدر الدين بخصوص ماتوصل إلية ... أثنى على رأيه مدير شرطة اللواء"[١]

المكان المفتوح

هو المكان الذي يتشارك في معظم الناس أو جميعهم وقد جاءت في روايات الكاتب أسعد اللامي الكثير من الأماكن المفتوحة.

المدينة:–

تعد المدينة من أهم الأمكنة التي تناولتها الرواية المعاصرة، فلا تكاد تخلو رواية من ذكر مدينة لما فيها من مختلف الموضوعات المهمة التي تثير مخيلة الكاتب "فالمدينة بوصفها بوتقة انصهار وعملية مكثفة ومثيرة بصريا ولغويا في حد ذاتها" [٢].

تعد البصرة من أهم مدن العراق، مدينة اقتصادية، الكاتب سلط عليها الضوء في الرمل الأسود، وهي المدينة التي ولد فيها بطل الرواية ودارت فيها أغلب الأحداث، يسرد الراوي على لسان نعيم أهم الأحداث التي جرت في البصرة، وهو يخاطب صديقه رياض الذي ترك العراق قسراً بعدما تم تهديده من قبل الجماعات المسلحة" أين بصرتنا القديمة ياريـاض؟ ... تعال أنظر بنفسك إلى هذه الجموع المسلحة المنتشرة في الشوارع والساحات، اغلبهم صبيان صغار في

([١]) باب النار ٧٤

(١) الرواية والمدينة حسين حمودة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ط، سبتمبر ٢٠٠٠، ٢٠

ريعان الشباب... هل يفكر أحدهم بالبصرة وهو يطلق الرصاص جزافا في الهواء مثلما أفكر، هل يشعر بالذنب لما هو عليه الحال، إنهم في غاية السعادة ياصديقي، يأكلون ويشربون، ينامون، ويتقاتلون، يعيشون لحظاتهم حتى النهاية ولتذهب البصرة إلى الجحيم" [١]

يحدث في تايلند وتحديدا مدينة بانكوك أمر عكس ما هو عليه في البصرة. "بانكوك بتفرعات شوارعها الأخطبوطية وحدائقها الخضر ولوحات الإعلان العملاقة المزروعة في كل مكان، بانكوك مطبخ بحري كبير وحديقة مطرية تتجول فيها الفيلة مع الناس جنا لجنب، رائحة الماء والأسماك وقصب البامبو والرز والروبيان تداهم أنوفنا"[٢]

يحاول الكاتب الوصول لعمل مقارنة بين المدينتين من خلال ما تقدم سرده من أحداث، وفي موضع آخر من الرواية ينتقد الكاتب مدينة البصرة وماتمربه من سوء خدمات، "تنظر أمامك تجد المياه تغمر وجه الأرض، السيول تجري كأنه يوم من أيام الطوفان، فجأ ومن دون أية مقدمات تبتلع السماء غيومها... لا تجد أي أثر للمياه"[٣]

ينتقد الكاتب ما يحدث في مدينة البصرة "لو أن السماء تسكب في البصرة عشر ما تسكب من مطر في هذه البلاد ماذا سيحدث؟ السباخ ستغدو طينا لائصا، البيوت ستغمرها المياه، ملابس الناس ستتلطخ بالوحل، سيطفح نهر العشار... تطفو على سطحها النفايات والأزبال وغائط البشر والحيوانات، ستنفجر محولات الكهرباء... تصبح مصائد للموت" [٤].

بوغتت حنين الشخصية الرئيسة في شباك امينة بسؤال أم كريم، عن مدينة وطائفة زوجها منير، الذي كان يسكن مدينة البصرة، هل هو شيعي أم سني؟ أجابت حنين: "أعرف أن منير من البصرة ومدينة البصرة مختلطة فيها من هذا المنحى وذاك وغير ذلك من الطوائف والأديان ولكن.. حقا لمَ لم اسأل منير عن طائفته؟ لمَ لم يسألني هو؟ هل كنا على صواب حين تجاهلنا

---

(١) الرمل الأسود ٨٤

(٢) نفسه١٢٢

(٣) الرمل الأسود ١٦٨

(٤) نفسه ١٦٩

طوائفنا ولم نعطها ذلك الاهتمام، هل أهاتفه الآن، ترى كيف سيتلقى السؤال هل يضحك؟ يبكي؟ ربما يصمت، يدمدم ولا يعلق بشيء"[١]

يصور الكاتب مدينة البصرة في باب النار وما مرت به مدة من الفترات أثر تعاقب الحكومات عليها، مما خلف الكثير من المشاكل، وخاصة مدينة البصرة الشريان النابض للعراق، مدينة اقتصادية وتجارية ونفطية، لها أهمية كبيرة، ما حدث في البصرة هو ما حدث في مدن العراق، أنتشار الجماعات المسلحة، تدعي إنها تابعة للحكومة الجديدة، تجوب الشوارع تقتل وتلسب وتحاسب الناس وتحكم عليهم من غير قانون، يحاسبون من يشاءون ويعتقلون من يشاءون، شوارع البصرة شبه خالية من الناس، الناس لايخرجون من بيوتهم، كل من ينتمي إلى الحكومة القديمة هو عدو لهم عليهم محاسبته. أنتشار الجريمة بكل أنواعها، قتل، اغتصاب، سجن لكل من ينتمي لحكومة عبد الكريم قاسم، الوضع الاقتصادي تدهور، انتشار الرعب بين صفوف الناس، لا أحد يعرف ما الذي يحدث في المستقبل الكل قلق "أن هؤلاء الفتيان هم من اولئك الذين يجوبون شوارع البصرة ويلقون القبض على الناس وفق مزاجهم ويودعوهم في أماكن متفرقة من البصرة حولوها إلى السجون. شاهد على أذرعهم الشرائط الخضراء وقرأ مكتوبا عليها عبارة الحرس القومي...كانت البصرة تغلي في تلك الأيام، لم يكن قد مضى على قتل الزعيم عبد الكريم قاسم سوى أسبوعين. دماء غزيرة سالت في أقبية التعذيب. دماء شباب وشابات ورجال ونساء، كان الاغتصابات يسبق قتل النساء. الكثير من تلك الجرائم كانت تجري على الظن والشفيهات، لا يكلف القائمون فيها أنفسهم ويفرقوا بين متهم وبريء"[٢].

الحي: –

يسرد الكاتب ما يحدث في عكد العبيد في الرمل الأسود من أحداث اجتماعية. عكد العبيد أو حي العبيد هو حي في مدينة البصرة، جميع سكانه تقريبا من أصحاب البشرة السمراء، لذلك يطلق عليه عكد العبيد، فهو حي صغير يفتقد لجميع الخدمات من ماء، وكهرباء، ومجاري، وبناء

(١) شباك أمينة ٦٦

(٢) باب النار ١٤٤

عمراني حديث، الناس فيه من الطبقة الفقيرة "سيكون هناك بشر كثيرون عند أبواب البيوت في الاحياء ينزحون المياه الطافحة في أثرهم التنكات وكل ما تقع عليه أيديهم من أوان"[١]. هكذا هو حال أغلب أحياء العراق، الناس فيها تعاني صيفاً وشتاءً.

ورد في الرمل الأسود على لسان نعيم في اثناء رحلته إلى تايلند وجود حي صغير، أو بلدة صغيرة، تقع خارج مركز مدينة بانكوك بتايلند، كل شيء متوفر لهم، ماء، ومجاري، وتبليط، وكهرباء، لا ينقصهم شيء، يقضون أوقات سعيدة، الكل فرح بأيام العيد "كانت شوارع البلدة الصغيرة ضاجة بالحركة والصياح، الناس في هرج ومرج مبتلة ثيابهم بالمياه...الأطفال بيدهم مسدسات ملونه صغيرة يلوحون فيها مهددين"[٢].

يسرد الكاتب في باب النار احداث حدثت في صبخة العرب وهو حي صغير في احدى مدن البصرة، اغلب سكانه من الطبقة الفقيرة، أغلب سكان البصرة، لايعرفون أين يقع مكان هذا الحي الصغير، يعيشون سكانه حياة مستقرة وهادئة، قبل أن تقع جريمة القتل التي أدخلت الرعب في قلوب سكان الحي لبشاعتها، تلك الجريمة قلبت أحوال الناس، حتى إنهم أصبحوا لا يخرجون من منازلهم "لم تعد أيام الحي كما كانت من قبل، سهلة تجري بهدوء ورتابة ومن دون أي تعقيد، أصبحت الأيام ثقيلة وأناس الحي البسطاء خيم عليهم الحزن فما حدث كان مباغتا ومؤلما واحتماله كان فوق طاقة الجميع" [٣].

المعهد (مكان التدريب): –

في رواية الرمل الأسود هناك العديد من الامكنة المفتوحة، يمثل (المعهد البولي تكنيك الأسيوي بتايلند) الذي أقيمت به دورة التدريب على أنظمة المعلومات الجغرافية. المكان المهم بالنسبة لنعيم بطل الرواية، إنه المكان الذي التقى فيه الانسة سريلاك، يمثل له الحياة الوردية، الحياة الهادئة، الناعمة، يشعر للمرة الأولى بهذا الشعور، وهو لا يكاد يصدق أن مثل تلك الفتاة انجذبت نحوه، "ابتسمت المتدربة التايلندية مس سريلاك وهي ترى النقاش بين المتدربين... أنظر مستر

(١) الرمل الأسود ١٦٩

(٢) نفسه ١٨٤

(٣) باب النار ٢٤

(فردوس مفقود) سأثير اهتمام المتدربين بمناطق غابات المانجروف الاستوائية عند تخوم البحر"[١]

النهر :

يسرد الكاتب في الرمل الأسود ما حدث في نهر تشاوا فرايا، يقع هذا النهر خارج العاصمة التايلندية بانكوك، يذهب إليه مجاميع من السياح التايلنديين يودعونه أمنياتهم عن طريق اشعال الشموع والبخور الخاص بهذه المناسبة، عسى أن تتحقق أمنياتهم ذات يوم، ذهب نعيم برفقة الأنسة سريلاك إلى ذلك النهر، ليشعلوا الشموع، كل واحدا منهما لديه أمنية، نعيم يتمنى أن يعرف والدته المفقودة، والانسة سريلاك تتمنى شفاءها من السرطان، "ناولتها ولاعتي وأشعلت الشموع والبخور بهدوء حزين، كانت قسمات وجهها جادة وصارمة وهي تلقي نظرة أخيرة على السلة وتدفعها برفق وسط الأمواج"[٢]. نعيم ضايع أودع أمنيته بحزن عميق رافعاً رأسه إلى السماء، "أريد أن أعرف أمي من تكون كتبت بخط متمهل وواضح رفعت أسي برهة ثم عدت وتفحصت ما كتبت... أشعلت شمعة واحده وعود بخور ثم دفعت السلة لتتلقفها الأمواج"[٣]

البحر: _

يشير الكاتب في الرمل الأسود لجمالية البحر الذي يشاهده نعيم لأول مرة في حياته، لم يصدق عيناه، يمثل البحر لنعيم الامتداد الواسع، الذي ينقي النفس، والخروج من حالة الضيق التي يعاني منها، عبر نعيم عن فرحته بطريقته الخاصة "أنه البحر، ندت عني صرخة فرحة، تشبه صرخة طفل أهدته أمه لعبة غالية لم يكن يتوقعها على الأطلاق، هي المرة الأولى التي أرى فيها بحرا وجها لوجه"[٤].

---

(١) الرمل الأسود ١٣

(٢) الرمل الأسود ٢٠١

(٣) نفسه ٢٠٢

(٤) نفسه٢٠٣

الشارع

شاهد نعيم في شوارع العاصمة بانكوك، مشاهد جعله يعيش حالة صدمة، "كان الزحام على أشده، كأن لم يبق أحدا حبيس البيت، يتجولون زرافات، زرافات، فوقهم يتأرجح قوس قزح كبير يحيون بعضهم بعضا بحميمية بالغة وهم يبتسمون يكلل وجوههم سلام راسخ وهدوء عميق"(١).

الشوارع في البصرة تختلف عما هي في تايلند، شباب مسلحين يحملون أنواع الأسلحة، الرحمة منزوعة من قلوبهم، القتل والسلب والنهب برنامجهم اليومي، الناس بوضع المتفرج لا يستطيعون عمل شيء، خوفا من العصابات والوضع الأمني المنفلت، لا يوجد أمان، يحاسبون الناس على كل صغيرة وكبيرة، يعتدون على الناس بسبب أو بدون سبب، "لمحتهم غير بعيد، كانوا بحدود عشرة شباب صغار في السن، ملثمين ويرتدون ملابس سوداء، يحملون في أيديهم مسدسات، كانوا يعدون بأثر شاب صغير في السن الوجه بشكل لافت للنظر يرتدي ملابس جينز ضيقة وشعره عمله على هيئة سبايكي حتى أذا ما لحقوا به، أمسكه أحدهم من الخلف وبدأوا جميعاً بضربه، والانكفاء عليه كان الفتى يصرخ بشدة ويومي بيده طالبا العون، الشارع ضاج بالناس لكنهم وقفوا جميعا يتفرجون، نقطة تفتيش عسكرية قريبة من المكان افرادها أيضا بدوا غير مبالين"(٢).

يسرد الكاتب أحداث عودة حنين إلى أرض الوطن، بعد فراق طال لمدة ربع قرن، وتحديدا شارع المطار المؤدي إلى ساحة عباس بن فرناس، تروي حنين حال هذا الشارع بعد أن تركته لفترة طويلة، أكوام من النفايات والمخلفات. تصاب بخيبة أمل، تضن أن الحال قد تعدل بعد الاحتلال، وأن أمريكا سوف تبني العراق، كان هذا شعارها، إلا إنه حدث العكس "تمدعيني نظرات أشواقها المختزنة ترتد مصعوقة، خائبة، إذ تصدم بجدران عالية من اسمنت وحديد، بمستعمرات داغلية من أسلاك التف بعضها على بعض بشكل موجع، وكريه ببرك متعفنة لمياه

(١) نفسه ١٦

(٢) الرمل الأسود ٤١

سوداء، بتلال من حجارة وأنقاض، أكياس منفوخة بالتراب، بدت مفصصة، تكشف عن تراكمات سنوات وسنوات من الجهل واليأس والأحباط"[١]

يمثل الشارع في شباك أمينة المكان الذي حدث فيه، حدث مهم للشخصية الرئيسة كريم، الذي كان متواجداً في أحد شوارع العاصمة بغداد يدعى شارع المتنبي، يكتظ هذا الشارع بالكثير من الناس وخاصة في يوم الجمعة، يتواجد في هذ الشارع الكثير من المكتبات، يزوره الكثير من الناس في مختلف الأعمار، وفي لحظة، حدث انفجار راح ضحيته العشرات من الناس الأبرياء، أطفال، نساء، كبار السن، شباب. يسلط الكاتب الضوء على الانفلات الأمني والواقع المرير التي تعيشه العاصمة بغداد تلك الأيام، ويشترك في هذا التدهور الأمني مجموعة من الخارجين عن القانون تأتي من مختلف بلدان العالم لتفذ ما تطمح إليه في العراق، بمساعدة مجاميع داخلية تسهل لها الطريق، وتختار المكان الذي يتواجد فيه اعداد كبيرة من الناس الأبرياء، ومن سوء حظ كريم تواجده في شارع المتنبي، ذلك اليوم لشراء مجموعة من الكتب أوصته عليها حنين، فقد كريم ساق وذراع جراء الانفجار، ليصبح بلا ساقين بعدما فقد ساقه الأخرى في وقت سابق في الحرب، "حدث قبل قليل انفجار في شارع المتنبي ببغداد ما تسبب بحريق كبير التهم سوق المكتبات الشهير في العاصمة العراقية... نعم معالي الوزير خال أطفالي أسمه عبد الكريم قاسم، ذهب للمتنبي هذا الصباح... حي يرزق.. الحمد لله... فقد ساقاً وذراعاً؟ نعم كان قطيع ساق من قبل"[٢].

السوق: –

تواجدت حنين بطلة شباك أمينة في احدى الأسواق في سوريا، تذكرت إنها لم تجلب معها هدايا لأهلها في العراق، وهذه العادة يتمتع فيها الكثير من العراقيين، وهي نوع من التقدير، والاحترام، والمحبة، وعلو الشأن للمقابل "في أحد الأسواق بعد عودتي من المقبرة اهديت بعد طول حيرة

(١) شباك أمينة ٥٤

(٢) شباك أمينة٢٠٦٠

وتردد إلى شراء هداياي.. عطور نسائية، علب بخور، قطائف شامية، عباءة نسائية سوداء... لم أكن ما تلبس خالتي أم كريم على وجه التحديد"[١].

الحديقة: –

تمثل الحديقة في الرمل الأسود المكان المليء بالسحر والجمال، مكان يعبر عن ثقافة بلد، استعملت الحديقة للتعلم والعمل، الحديقة نظيفة ومرتبة إلى درجة من الجمال والاناقة "الحديقة كانت مضاءة بأنوار باهرة في تلك اللحظة من المساء في غاية النظافة والترتيب... مجموعة متأخرة من التلاميذ والتلميذات شكلوا نصف دائرة حول استاذهم، أحدهم كان منشغلا بوضع بطاقة تعريفية على جذع شجرة اسفندان، حيتهم مس سريلاك، هزوا رؤوسهم وردوا على التحية"[٢].

أما في نهايات الخريف بدايات الشتاء، أصبحت الحديقة المكان المؤلم الحزين، بعدما قضى إياد ليلته فيها، منزويا في أحدى زواياها، تعباً ، مرهقاً ، حزيناً "انسل خارجاً بهدوء نحو زاوية في حديقة الدار، تكور فيها على نفسه وحيدا، مرهقا، في غاية الانهاك، لم يكن قد دخل في جوفه طعام منذ ليلة البارحة لكنه لم يكن أيضاً ليشعر بأي ميل للأكل، فقط كان يتمنى لحظتها لو أن بإمكانه الحصول على قدح من الشاي، يعدل به من ذهنه المضطرب ويرتب أفكاره المشوشة، لكنه خجل من الافصاح عن رغبته تلك إلى أحد من كائنات الدار، حتى إنتبه إلى ما يشبه طيفا غير مرئي يخرج من الدار إلى عتمة الحديقة يلقي عليه نظرة متفحصة، قبل أن يعود مسرعا إلى الداخل، أعقب ذلك بقليل خروج خالي الصغير واقترابه منه، ساوره شعور غريب بأنها هي التي خرجت وهي أيضا التي دفعت بالفتى الصغير ليخرج في ليل الحديقة"[٣].

---

(١)الرمل الأسود ٣١

(٢) نفسه٢٢

(٣) نهايات الخريف بدايات الشتاء ١٠٤

المقبرة: –

هناك انواع كثيرة من الأماكن السردية في شباك أمينة كما ذكرها الكاتب، وكل مكان يعبر عن حدث مهم في الرواية، ومنها، مقبرة اليرموك في سوريا، التي تعني الكثير لحين، هي المكان الذي دفنت فيه أختها نبيلة، التي فارقت الحياة في في اثناء رحلة هروبهم من أزلام النظام البائد خارج العراق، يمثل هذا المكان الجرح العميق والحزن، "مقبرة اليرموك من فضلك...دلفت باب المقبرة بصمت حزين، أن أراها أتسعت كثيرا عما كانت عليه قبل ثمانية عشر عاما لكنني لم أته عن القبر، قادتني قدماي مباشرة إليه، طرقت على بابه برفق"(١).

تكلم حنين طيف أختها من وراء شاهدت القبر، كلمات عتب، وحزن، وألم، تخبرها أن النظام سقطت أسواره، التي كانت حاجز بينك وبين محبيكِ، ذهبت تلك الأيام العصيبة المؤلمة "كيف نجوت أنا وكيف رحلت أنت؟ أنا الأقل منك تماسكا وحماسا وشغفا بالحياة... لقد سقطت الأسوار نعم يا جرحي السري، سقطت.. وأنا في طريقي الآن إلى بغداد"(٢).

يسرد الكاتب في شباك أمينة معاناة الشخصية الرئيسة كريم، مع المقبرة وما حدث له، ما شاهده كريم في المقبرة، يحزن القلب، مئات الشهداء يوميا يتوافدون إلى مسكنهم الأخير، يروي كريم، "لحظتها يا زهري تملكني هاجس غريب جعلني أنفصل عن البكاء المدوي لحشد الموارين الجدد، ابكي كما لم أبك من قبل، في دائرة واسعة من ازدحام القبور وتجاوز ساكنيها كتفا لكتف، كانت استطالات الحروف واستدارتها وانبعاجها تتراقص أمام عيني اللتين انسدت اجفانهما على خدر كما لو كانت تهاويم غائمة تلوح من دون لوح مضبب من زجاج سميك"(٣).

---

(١) شباك أمينة ١٥

(٢) نفسه ١٩

(٣)شباك أمينة ١٠٢

ساحة المعركة: –

يسرد الكاتب أحداث حرب الثمان سنوات، في أحلام العبوة الرابعة، على لسان كريم فيصل، مئات الشباب انقادوا لحرب طاحنة، حرقت الأخضر واليابس، خلفت الحرب، ألآلف الأرامل والأيتام، الشباب بلا مستقبل، أحلام ضائعة، تكلم كريم عن معاناة جيل من الشباب "أرفع كفي للسماء، أصرخ كمشعل نيران همجي بوجه كل شيء، من دون صوت بالطبع ولكن من دون أن يخامرني البتة أدنى شعور بالذنب، أصرخ بوجهة الظلال البعيدة المشوهة للحياة"[١].

الخاتمة

الحمد لله أقصى مبلغ الحمد.. والشكر لله من قبل ومن بعد ، على ما وصلت إلية في هذا البحث الذي يتناول دراسة الشخصية الروائية في روايات الكاتب العراقي المعاصر أسعد اللامي ، برع اللامي في كتابة رواياته مستعيناً بأحدث تقنيات كتابة الرواية المعاصرة مين سمة من سمات مميزات الرواية العراقية وظهورها من جديد على الساحة العربية ، حيث أصبحت تنافس على المراكز الأولى في الجوائز العربية ويمكن أجمال هذه الدراسة بعدة نقاط :

١– للرواية العراقية مكانة متميزة في الأدب العربي ولها تاريخها المشرف

٢– برع الكاتب في إيصال مفهوم واقع المجتمع العراقي للرأي العام عن طريق شخصياته التي جاء بها من الواقع المرير دون تزيين أو تجميل .

٣– عبرت الشخصية في روايات اللامي عن الواقع الأجتماعي والسياسي النفسي للمجتمع العراقي .

٤– من مميزات كتاباته شد القارئ إلى نهايات الرواية

---

(١) أحلام العبوة الرابعة ٦٩